محاضرات في العربية

العامة

إعداد
م.د رابعة حسين مهدي الحمداني

المحاضرة الأولى

مفهوم الأدب:

تدل مادة (أ،د،ب) في المعاجم اللغوية على أصل واحد تتفرع مسائله وترجع اليه ومنها : جاء في معجم مقاييس اللغة (الادب) ان تجتمع الناس الى طعامك، وفي تاج اللغة وصحاح العربية (الادب) هو كل ما كان فيه دعوة الى المحامد ونهي عن المقابح .

أما في **الاصطلاح** فإن كلمة الأدب بالمعنى المعروف عليه اليوم تعني ((الكلام البليغ الذي يؤثر في نفوس القرّاء والسامعين سواء كان شعراً أو نثراً)).

لقد تطوّر هذا المفهوم على مر العصور بتطور الحياة العربية وانتقالها من البداوة الى الحضارة ' فاتخذ العديد من المعاني بتعاقب العصور والبيئات حتى تكوّن بهذه الصياغة وهذا المعنى.

الأدب عند العرب فى الجاهلية :

إذا نقبنا عن كلمة (أدب) في العصر الجاهلي لم نجدها تجري على السنة الشعراء انما نجد كلمة (آدب) على وزن (فاعل) وقد عرفت في معنى ضيق جداً، وهو الدعوة إلى مادبة أو وليمة، وفي ذلك يقول الشاعر الجاهلي طرفة بن العبد :

نحن في المشتاة ندعو الجفلى لا ترى (الآدب) فينا ينتقر

والجفلى : هي الدعوة العامة، والآدب هو الداعي ، وينتقر أي يتخير أو يختار ، وبهذا يفتخر الشاعر بأنهم كانوا يقيمون المآدب في الشتاء ، ويجعلونها عامة لكل عابر سبيل إذ أنهم لم يكونوا يختارون من يحضر إلى تلك المآدب .

ومن خلال اطلاعنا على هذا البيت نجد ان مدلول لفظة الادب في هذا البيت دلت على هذا معنى ضيق جداً ، وبعيد جدا عن معنى كلمة (أدب) في العصر الحديث .

وربما استخدمت الكلمة في العصر الجاهلي بالمعنى (الخلقي) اي الدعوة الى حسن الخلق والمعاملة الحسنة بين الناس غير أنه لم تصلنا نصوص تؤيد هذا الظن.

الأدب فى عصر صدر الاسلام :

نجد هذه الكلمة تستخدم في المعنى (الخلقي التهذيبي) اي الدعوة الى مكارم الاخلاق ' فقد ورد في الحديث النبوي الشريف قوله (صلى الله عليه واله وسلم) ((أدبني ربي فأحسن تأديبي)) وقد استخدمه شاعر مخضرم يسمى سهم بن حنظلة الغنوي بنفس المعنى إذ يقول :

لا يمنعُ الناس منِّي ما أردت ولا أعطيهم ما أرادوا حُسنَ ذَا أدبا

الأدب في عصر بنى أمية :

أخذت كلمة (أدب) في عصر بني أمية تدور في معنيين :

١- المعنى التهذيبي: ويقصد به تهذيب النفس وتدريبها وحملها على التعود على الخصال الحميدة .

٢- المعنى التعليمي: يستخدم هذا المعنى في اشارة الى (المؤدبين) وهم طائفة من المعلمين كانوا يلقنون أولاد الخلفاء الشعر واللغة وأخبار العرب وأيامهم في الجاهلية والاسلام .

الأدب فى العصر العباسي :

ومع اتساع رقعة الدولة العباسية واختلاف بيئاتها وتطور الحياة العربية فقد استمر الجمع بين معنيي (التهذيب والتعليم) ، فقد سمى ابن المقفع رسالتين له تتضمنان ضروبا من الحكم والنصائح الاخلاقية والسياسية باسم (الادب الصغير) و(الادب الكبير).

وفي القرنين الثاني والثالث الهجريين وما تلاهما كانت كلمة أدب تطلق تحديدا على المأثور من الشعر والنثر وما يتصل بهما ، أو يفسرهما ، أو يدل على مواضع الجمال فيهما .

وأخذوا يؤلفون بهذا المعنى كتبا سموها كتب أدب مثل :

كتاب (البيان والتبين) للجاحظ (ت ٢٥٥)

كتاب (الكامل في اللغة والادب) للمبرد (ت ٢٨٥)

كتاب (عيون الاخبار) لابن قتيبة (ت ٢٧٦)

كتاب (العقد الفريد) لابن عبد ربه (ت ٣٢٨)

كتاب (زهر الآداب) للحصري) (ت ٤٥٣)

والواقع أنه لم تقف هذه الكلمة عند المعنى التعليمي الخاص بصناعتي الشعر والنثر بل اتسعت مع اتساع نطاق المعرفة في العصر العباسي لتشمل كل المعارف التي تطور مدارك الانسان وترفع من مستواه الثقافي والمعرفي.

الأدب فى القرن الرابع الهجرى :

اتسع مفهوم الادب في القرن الرابع الهجري عند أخوان الصفا (فلاسفة مسلمين) ، فقد دلت كلمة أدب عندهم على علوم اللغة والبيان والتاريخ والاخبار ' الى جانب علوم السحر والكيمياء والحساب والمعاملات والتجارات .

الأدب فى القرن الثامن الهجرى :

ولا نصل الى القرن الثامن الهجري زمن المؤرخ العظيم (ابن خلدون) حتى نجد كلمة أدب تطلق على جميع المعارف الدينية وغير الدينية والتي تشمل كل المعارف وخاصة علم البلاغة واللغة.

ولعل خير محاولة قام بها العرب لتحديد معنى (الأدب) تلك التي قام بها (ابن خلدون) في مقدمته ، إذ قال تحت عنوان (علم الأدب): (الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارهم، والأخذ من كل علم بطرف) .

الأدب في العصر الحديث :

أخذت كلمة أدب منذ أواسط القرن الماضي تدل على معنيين :

١- المعنى العام: يطلق على كل ما يكتب في اللغة مهما كان موضوعه وأسلوبه سواء أكان علما ام فلسفة ام ادبا فكل ما ينتجه العقل والشعور يسمى أدبا .

٢- المعنى الخاص: وهو الادب الخالص الذي لا يراد به مجرد التعبير عن معنى من المعاني بل يراد به أيضاً - أن يكون جميلاً بحيث يؤثر في عواطف القارئ والسامع على نحو ما هو معروف في صناعتي الشعر وفنون النثر الأدبية مثل : الخطابة، والأمثال، والقصص، والمسرحيات ، والمقامات .

(مصادر أدب ما قبل الاسلام)

ان مصادر الشعر الجاهلي هي تلك الذخائر والنفائس الباقية لنا من آثار العلماء والادباء والرواة والباحثين ، مشتملة على تراث الجاهليين الشعري والنثري ولعل من أشهر هذه الذخائر الشعرية (المعلقات ،المفضليات ، الاصمعيات ، دواوين الحماسة ، ودواوين القبائل والافراد).

١ـ المعلقات :

سبب تسميتها والآراء التي قيلت فيها

يقصد بالمعلقات تلك النماذج الرائدة من عيون الشعر الجاهلي، والتي بلغت من الجودة والإحكام أن اعتبرت معياراً يقاس عليه الشعر بما أرسته من تقاليد شعرية، وبما حفلت به من قيم ومبادئ تمثل حياة الإنسان العربي في العصر الجاهلي. ولعل ما يؤكد أهميتها وقيمتها الأساس الذي يعلل به الدارسون تسميتها، حيث ينقسمون في ذلك إلى رأيين:

الأول: يرى بأنها سميت بذلك نظراً لتعليقها بأستار الكعبة، ويستشهدون بشيوع تعليق الوثائق وغيرها من الأمور الهامة بتعليق وثيقة مقاطعة قريش لبني هاشم على جدار الكعبة. ومن أنصار هذا الرأي ابن رشيق وابن خلدون. وبالتالي فإن تسميتها حسية مأخوذة من خبر التعلق.

الثاني: يرى أن تسميتها معنوية، مأخوذة من تعلقها بعقول الناس وأفئدتهم نظراً لجودتها وخلود قيمها، وهذا ما يذهب إليه كثير من الباحثين المعاصرين، بحجة أن أحداً من رواة الشعر الثقات القدماء لم يشر إلى خبر تعليقها بأستار الكعبة، مثل الجاحظ والمبرد وغيرهم. وهناك من أطلق عليها اسم (السبع الطوال) وان هذه التسمية جاءت من وصفها بما اشتهرت به من طول ابيات قصائدها. وايضا سميت ب(المذهبات) ويرجع سبب تسميتها بذلك ان العرب عمدوا الى سبع قصائد تخيروها من الشعر القديم وكتبوها بماء الذهب وعلقوها

على استار الكعبة .وعرفت ايضا ب(السموط)والسمط هو 'قلادة التي تعلق ولعل ذلك راجع ايضا الى فكرة تعليقها .

• عددها وأصحابها

أما عدد المعلقات فيكاد الإجماع أن ينعقد على أنها سبع، وشعراؤها هم: (امرؤ القيس، عنترة بن شداد، طرفة بن العبد، زهير بن ابي سلمى ، لبيد بن ربيعة، عمرو بن كلثوم، الحارث بن حلزة)

ومن العلماء من يصل بعددها إلى عشر معلقات مضيفاً اليها (الاعشى ، النابغة الذبياني ، عبيد الابرص)

٢ـ المفضليات

من أقدم ما وصل إلينا من اختيارات الشعر، جمعها وألفها المفضل بن محمد الظبي. العلامة الكوفي راوية الأخبار والآداب وأيام العرب واحد القُراء البارزين. عمد المفضل الظبي إلى الجيد من الشعر القديم فأختار منه مجموعة اختلف الناس في سبب تأليفها قيل: كان ذلك بطلب من الخليفة المنصور وقيل: "ألف ذلك الاختيار للمهدي" والروايات في ذلك مختلفة.

أما تسميتها بالمفضليات فالغالب على الظن أنها لم تصدر عن صاحبها، المفضل. وربما نُسبت اليه، ثم اشتهرت بذلك.

تتبوأ المفضليات مكانة مرموقة بين مجموعات الشعر القديم؛ فبالإضافة إلى قيمتها التاريخية وإبقائها على جانب مهم من الشعر الجاهلي وحفظه من الضياع، وإنها أقدم مجموعات الشعر، فهي تمتاز أيضا بأن القصائد التي اختارها المفضل قد أثبتها كاملة غير منقوصة، يضاف إلى كل ذلك اشتمالها على طائفة صالحة من أشعار المقلين من الشعراء.

وشعراء المفضليات أكثرهم من الجاهليين وفيهم قله من المخضرمين والإسلاميين، وعددهم ٦٦ شاعرا، منهم تأبط شرا والشنفري الأزدي، والمرشفان، الأكبر والأصغر، والمثقب العبدي وأبو ذؤيب الهذلي، ومتمم بن نويرة وبشر بن أبي خازم، وسلامة بن جندل وغيرهم.

أما القصائد المختارة في هذه المجموعة فقد تراوحت بين ١٢٨ و١٣٠ قصيدة حسب الروايات.

٣- الأصمعيات:

ألفها أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي (ت ٢١٧ هـ)

والأصمعيات هي المجموعة التي تلي المفضليات في أهميتها وقيمتها الأدبية، ويعدها العلماء متممه للمفضليات، ولعل تلاميذ الأصمعي أو المتأخرين هم اللذين أطلقوا عليها الأصمعيات، تميزا لها وفرقا بينها وبين اختيار المفضل الظبي.

ان المجموعة التي اشتملت عليها الأصمعيات هي من جيد الشعر: لان الأصمعي معروف بغزارة الحفظ وجودة الاختيار. وقد اقتصرت هذه المجموعة على الشعر القديم الجاهلي، وشيء من شعر المخضرمين والإسلاميين ، واختار فيها الكثير من الشعراء قصائد غير التي اختارها لهم صاحب المفضليات وبلغ عدد الشعراء الذين اختار من شعرهم ٧٢ شاعرا وكانت قصائدهم ٩٢ قصيدة.

وممن اختار لهم الأصمعي : دريد بن الصمة وعروة بن الورد وعمرو بن معد يكرب ومهلهل بن ربيعة والمتلمس ومتمم بن نويرة وغيرهم .